وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
المرحلة الثالثة
المادة: فلسفة التاريخ

الوعي الفكري والتاريخي في الحضارة العربية الاسلامية

أ. د. مثنى عباس عواد

تعددت تعريفات مصطلح الحضارة تبعاً لاختلاف المدارس الفكرية ووجهات النظر المختلفة، إلا أن المفهوم العام لمصطلح الحضارة يعرفها بأنها عبارة عن مجموعة من العقائد والمبادئ المنظمة المجتمع، وتمثل ناتج النشاط البشري في مختلف المجالات كالعلوم والآداب والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة والأنماط السلوكية والمناهج المختلفة في التفكير، وقد تطور مصطلح الحضارة مع تعاقب العصور وتعددت تعريفاته والرؤى الخاصة به فرأى ابن خلدون ان الحضارة هي التفنن في الترف بما يشمل الملابس والمباني والمطابخ وكل ما يخص المنزل والأمور التابعة له، وقد عرفها مرة أخرى بأنها أحوال عادية من أحوال العمران تزيد عن الضروري بدرجات مختلفة متفاوتة تبعاً لرفاهية وتفاوت الأمم بغلتها وكثرتها، ويرى ابن الازرق أن الحضارة هي نهاية العمران الذي يؤدي إلى الفساد والغاية ظهور الشر الذي يبعد الخبر وينوه من سلم منها فلا محال من اقترابه من الخير.

أما في العصر الحديث فيعرف المؤرخ ديورانت الحضارة بأنها نظام اجتماعي يساعد الأفراد على رفع معدل انتاجهم الثقافي وأن نقطة البداية للحضارة في نقطة انتهاء الاضطراب والقلق والحضارة مكونة من أربع عناصر اساسية وهي النظم السياسية والموارد الاجتماعية والتقاليد الخلقية وأخيراً متابعة العلوم والفنون.

أما انشائها فهي من تفاعل الثقافات والأعراف المختلف التي تنتهي جميعاً في تشكيلة الحضارة، ويمكن القول أن الحضارة لا ترتبط بعرف معين أو جنس محدد أو شعب من الشعوب، إلا انه يمكن أن تنسب الحضارة إلى منطقه جغرافية أو أمة معينة من الأمم، وتعرف أنها عبارة عن إنتاج الجهد الذي بطبقة الإنسان التحسين وتطوير ظروف حياته ومعيشته سواء كان في الجهد المبذول مادياً معنوياً مقصود أو غير مقصوداً، والحضارة الإسلامية هي حضارة تقوم على الاسلام حيث أن الفكر الاسلامي هو الذي بناها وشيدها وهي حضارة انسانية مختلف جوانب الحياة كما انها حضارة تعود الى العلم الذي جاء به الرسول (صلى الله عليه واله وسلم).

وقد استفادت الحضارة الإسلامية من مختلف الحضارات السابقة في قيادتها وتفوقها، فوقعت من شأن الشورى والعدالة والمساواة والحرية، ومختلف الحقوق الانسانية.

الحضارة الإسلامية التي دخلها الإسلام أثناء الفتوحات الإسلامية والحضارة ليست مقتصرة على جنس بل شملت جميع الأجناس والحضارة بمفهومها نوعين أولها الحضارة الإسلامية الأصلية الذي يعد الدين الإسلامي المصدر والمنبع الوحيد لها، أما نوعها الثاني فهي حضارة

البعث والأحياء لأنها نتجت عن تطبيق المسلمين لأمور تجريبية مختلفة وسيطرت الحضارة على العلوم منذ القرن الثالث الهجري حتى القرن الخامس للهجرة، وشملت الحضارة الإسلامية مختلف الجوانب المادية والمعنوية وكرست لتسهيل التقدم والتطور.

قد ارتكزت الحضارة الإسلامية على دعائم ومنها:-

أولاً: الربانية: أن القاعدة التي تعتمد عليها الحضارة والشريعة الإسلامية في معرفة الناس بخالقهم حيث تساعد على ايجاد حلول لجميع المشكلات التي تواجه الإنسانية ودونها لا يتحقق الإصلاح في المجتمع.

ثانياً: العدل الشامل: إن العدل له أهمية في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، والحث على الطاعات وتحقيق الألفة والمودة بين الناس، والعدل من أهم قواعد النظام السياسي في المجتمع الإسلامي ويجب أن يطبق العدل في الحضارة الإسلامية بين جميع الافراد سواء كانوا أغنياء أو فقراء أو حاكمين أو محكومين أو غير مسلمين.

ثالثاً: الأخوة الانسانية : جاء الاسلام ليقضي على الفروقات الجنسية والتفريق العنصري لتحل محلها الأخوة الإنسانية، فلا فرق بين شرقي ولا غربي أو أعجمي، وهذه الرسالة لجميع الأمم.

رابعاً: الشورى: وهي قاعدة مهمة في الشريعة الإسلامية، إذ إن الإسلام حث على الشورى في جميع الأمور وأمر باتباعها وترسيخ قواعدها، ولم يحدد كيف تطبيقها، أما في الوقت الحاضر فتم إنشاء مجالس نيابية التي يتم من خلالها التشاور في أمور الأمة إلى جانب مشورة ولي الأمر.

خامساً: المساواة: لا فرق بين أفراد المجتمع، والمساواة هي الشعار الأساسي التي ينادون بها.

سادساً: الثبات: يتميز الإسلام بتشريعاته الثابتة وأنها ربانية المصدر، أما تشريعات البشر فتتغير.

سابعاً: الموازنة بين المصلحة العامة والمصلحة الخاصة: يوازن الإسلام بين المصلحتين ويقدم مصلحة الجماعة على الفرد، واتباع أسس التوازن والتعاون في الأمر كله.

ثامناً: الرحمة: دين الرحمة وأرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) رحمة للعالمين وأحكام الإسلام وتشريعاته تبعث الرحمة في نفوس المسلمين.

تاسعاً: الإسلام: دين السلام ولا يمكن أن يخالف أحد لا جاهل ولا حاقد، ومن يؤمن بالدين الاسلامي يسمى مؤمناً.

السمات والخصائص:

تميز التاريخ عند العرب المسلمين معرفة وفكراً ومناهج بصفات وميزات أهمها:

١- ارتباطه الوثيق بالإسلام وحضارته، وبالموروث الثقافي للعرب، وإبداعات المؤرخين العرب المسلمين وابتكاراتهم، دون أن تكون هناك مؤثرات خارجية ذات أهمية تذكر، إذ لم ينقل هؤلاء المؤرخون عن مؤرخي الأمم الأخرى سوى جانب من تاريخ تلك الأمم عن طريق ترجمة عدد قليل من الكتب عن الفارسية، وعدد أقل منها عن لغات أخرى كتاريخ هروشيوس الذي نقل في الأندلس إلى العربية عن اللغة اللاتينية، ومواد ضئيلة فيما يبدو دخلت المدونات التاريخية العربية عن طريق السريان، فضلاً عما هو معروف من انتقال بعض الروايات، التي دعيت بالإسرائيليات إلى كتب المؤرخين العرب المسلمين عن طريق اليهود والنصارى الذين أسلموا، كوهب بن منبه وكعب الأحبار.

٢- كثرة المؤرخين والمؤلفات التاريخية، إذ يقدر عدد هؤلاء بخمسة آلاف مؤرخ، كتبوا بين عشرة آلاف إلى اثني عشرة ألف كتاب في التاريخ وفروعه كالتراجم والأنساب، فقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية بتراثها التاريخي الضخم الذي لم تنتج مثله أية أمة أخرى تقدمت العرب المسلمين أو عاصرتهم، ويعزى هذا الثراء في المؤلفات التاريخية إلى جملة عوامل كان أهمها الفكر التاريخي ذي الأغراض الاعتبارية والتشريعية الذي أسس له القرآن الكريم.

٣- ويمكن القول إن المؤرخين العرب المسلمين كانوا على وجه الإجمال مستقلين في آرائهم، ولم يكونوا مؤرخين للسلطة الحاكمة، بل كان بعضهم من العلماء وكثير منهم من الأدباء والفلاسفة والأطباء والمشتغلين بعلوم ومعارف أخرى، فضلاً عن التاريخ، إلا أن ذلك كله لا يمكن أن يحجب حقيقة الهيمنة التي كانت تمارسها السلطة على نواحي الحياة كافة، مما لا يترك فضاءً واسعاً للاستقلال في الرأي أو إظهار الرأي المخالف.

٤- احتوت كتب التاريخ العربي الإسلامي روايات خاطئة لا نصيب لها من الصحة، وأخرى ملفقة مكذوبة، وقد أشار ابن خلدون إلى هذا الجانب وبين أسبابه ودوافعه، وقسم المؤرخين العرب على هذا الأساس إلى ثلاث طبقات أولها طبقة الثقات، ثم المتطفلين، فالمقلدين لهؤلاء المتطفلين، وحتى بعض المؤرخين الثقات كما يرى نقلوا في مؤلفاتهم روايات غير

صحيحة، كالمسعودي والواقدي، إذ تضمنت كتبهم من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات.

ويشار إلى أن التدوين التاريخي عند العرب المسلمين قد أولى الجوانب المتعلقة بالحروب والسياسة والأفراد اهتماماً كبيراً على حساب جوانب حضارية أخرى.. اجتماعية وثقافية واقتصادية، ولم يحفل المؤرخون كثيراً بتحليل الحوادث التاريخية وتعليلها، كما أنهم لم يمارسوا النقد، وهو الأساس الذي تقوم عليه الدراسة التاريخية، إلا في حدود ضيقة ركزوا فيها على نقد سند رواياتهم التاريخية التي اعتمدوها دون نصوصها، كما هو شأن علماء الحديث، ولم ينبعث النقد التاريخي العربي الإسلامي من عقاله إلا على يد ابن خلدون في القرن الثامن الهجري، الذي وضع فضلاً عن القواعد النقدية أسساً منهجية أخرى للدراسة التاريخية، أهلت التاريخ أن يكون (علماً) على وفق المعايير الحديثة للعلم.